تفسير غريب القرآن

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

٢١٣ — ٢٧٦ هـ

بتحقيق

السيد أحمد صقر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الكتاب الثانى من مكتبة ابن قتيبة ، وهو فى حقيقة أمره تتمة لكتاب « تأويل مشكل القرآن » ؛ لأن اللفظ الغريب من غامض المشكل الذى أراغ ابن قتيبة إلى توضيحه وتبيين دقيقه . وإنما أفرد الغريب بكتاب ، لئلا يطول كتاب المشكل ، وهو يحرص أشد الحرص على أن تكون كتبه وجيزة خفيفة على قرائها : لتنشط إليها نفوسهم، وتقبل عليها قلوبهم ؛ وينعموا بجناها نعيما خالصاً من كدر السآمة التى يجلبها التطويل والإكثار .

وذلك هو الذى حدا به إلى تنظيم كتبه وترتيبها ، وتنقيتها من الاستطراد الذى تموج به مؤلفات الجاحظ . ولست أرتاب فى أن كتب ابن قتيبة تفضل كتب أستاذه الجاحظ من هذه الجهة . ولو قد قلده المؤلفون لخلت كتبهم من تلك البلبلة الفكرية التى تشبه الدوامات التى تدور بالقارئ وتدير رأسه ، وتستنفد جهده . ولكنهم قلدوا الجاحظ فجاءت كتبهم وفيها ما فيها من سوء الترتيب ، وانتكاس الوضع الذى يقعد بأكثر القراء عن متابعة قراءة الكتاب فى نشاط فاره ومداومة فتية ، ويحول بينه وبين القراءة المتداركة المستمرة .

وقد أنبأنا ابن قتيبة فى صدر كتابه هذا أن غرضه الذى امتثله فيه : أن يختصر ويكمل ، ويوضح ويجمل ؛ وأن لا يستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا يكثر الدلالة على الحرف المستعمل ؛ وأن لا يحشو كتابه بالنحو وبالحديث والأسانيد . لأنه لو فعل ذلك لأورد ألفاظ السابقين بأعيانها ؛ وكان كتابه كسائر الكتب التى ألفها قبله

نقلة الحديث . ولو نقل أقوالهم واختار منها أصحها فى نظره ، وأقام الدلائل عليــه ، وأخبر عن العلة فيه ــ : لأسهب فى القول ، وأطال الـكتاب ، وقطع منه طمع المتحفظ ، و باعده من بغية المتأدب . وتلك التى تستك منها مسامعه .

ثم يخبرنا بأن كتابه مستنبط من كتب المفسرين ، وأصحاب اللغة العالمين ؛ وأنه لم يخرج فيــه عن مذاهبهم ومعانيهم ، ولم يتكلف فى شىء منــه إلا الإفصاح عن ألفاظهم بلفظه ، واختياره فى تأويل الحرف أولى الأقوال فى لغة العرب ، وأشبهها بقصة الآية التى يفسرها .

ثم يقول : إنه نبذ منكر التأويل ، ومنحول التفسير ؛ الذى لا يدرى : أوقع الغلط فيه من جهة المفسرين ؟ أم جهة النقلة ؟ .

ثم عقد باباً عنوانه : « اشتقاق أسماء الله وصفاته وإظهار معانيهــا » ؛ فسر فيه ستة وعشرين حرفا من الحروف المعبرة عن ذلك . ثم أعقبه بباب تأويل حروف كثرت فى الـكتاب ، لم ير بعض السور أولى بإيرادها من بعض ؛ وقد فسر منها أربعين حرفا . ثم قفاه بتفسير غريب سورة الحمد والبقرة فسائر سور القرآن على ترتيب المصحف المعروف . وهذا اللون ــ من ألوان ترتيب كتب الغريب ــ أقرب منالا من الـكتب المؤلفة على حسب حروف المعجم ، لأن الطالب لمعرفة غريب آية أو آيات أو سورة يجد طلبته مجموعة أمامه ، ولا يتبدد ذهنه فى الـكشف عن معانى الـكلمات فى موادها المختلفة .

وقد سبق ابن قتيبة إلى التأليف فى تأويل غريب القرآن ، أئمة كثيرون . نجتزئ بذكر عشرة منهم :

١ ــ آبان بن تغلب ، المتوفى سنة إحدى وأربعين ومائة .

فقد صنف فى غريب القرآن كتاباً عنى فيه بذكر الشواهد من الشعر على معنى الـكلمة التى يذكرها .

٢ — محمد بن السائب الـكلبى الـكوفى ، المتوفى سنة ست وأربعين ومائة .

٣ — أبو فيـد : نورج بن عمرو السدوسى البصرى ، المتوفى سنة أربع وسبعين ومائة .

٤ — على بن حمزة الـكسائى ، المتوفى سنة ثنتين وثمانين ومائة .

٥ — النضر بن شميل ، المتوفى سنة ثلاث ومائتين .

٦ — قطرب : محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ست ومائتين .

٧ — الفراء : يحيى بن زياد ، المتوفى سنة سبع ومائتين .

٨ — أبو عبيدة : معمر بن المثنى ، المتوفى سنة عشر ومائتين .

٩ — الأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة ، المتوفى سنة ستة عشر ومائتين .

١٠ — أبو عبيد : القاسم بن سلام ، المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين .

ومما هو جدير بالذكر أن اسم كتاب الأخفش والـكسائى والفراء هو : « معانى القرآن » ؛ واسم كتاب أبى عبيدة وقطرب : هو « مجاز القرآن » .

وهـذه الأسماء الثلاثة : « غريب القرآن » و « معانى القرآن » و « ومجاز القرآن » مترادفة أو كالمترادفة فى عرف المتقدمين . وقد وهم كثير من الباحثين المتأخرين ، فقالوا : إن « مجـاز القرآن » من كتب البلاغة لا من كتب التفسير ؛ وهو خطأ شائع .

وقد اعتمد ابن قتيبة على كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة، ومعانى القرآن للفراء ، أكبر اعتماد ، وانتفع بهما انتفاعا عظيما ؛ حتى إنه فى بعض المواطن كان ينقل لفظهما

بنصه وفصه . ولم يكن ابن قتيبة مجرد ناقل لكلامهما أو لكلام غيرهما ؛ بل إنه أخذ من الجميع أخذ العالم البصير الذى يعرف ما يأخذ وما يذر ، وتظهر شخصيته فى كتابه قوية واضحة المعالم بينة القسمات ؛ وكثيرا ما نقد رأى أبى عبيدة والفراء نقداً جريئاً لاذعاً حيناً ، وهادئاً أحياناً .

ولقد كان كتاب ابن قتيبة هذا مصدرا هاما لكثير ممن جاءوا بعده : سواء منهم من ألف فى تفسير القرآن عامة ، أو تفسير غريبه خاصة ؛ كالقرطبي والفخر الرازى وأبى حيان الأندلسى .

ومما يستلفت النظر أن أبا جعفر الطبرى قد انتفع بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا ، ونقل ألفاظه فى بعض المواطن نقلا حرفيا ، دون أن يشير إلى ابن قتيبة بأية إشارة واضحة أو مبهمة كالواضحة . مثل ما فعل مع الفراء وأبى عبيدة . وكثير من المواطن التى لم ينقل فيها ألفاظ ابن قتيبة وعبر فيها بألفاظه وأسلوبه ، يجد فيها القارئ الحصيف ريح كلام ابن قتيبة . وما أشبههما إلا ببحر كبير عارم الموج مر بجدول صغير ، فاستاق ماءه ومضى به .

وقد أكثر ابن قتيبة من الإشارة إلى كتاب تأويل مشكل القرآن والإحالة عليه ، بما لا يدع مجالا للشك فى ارتباط الكتابين ارتباطا وثيقا . ولم يشر إلى غيره من كتبه إلا إشارة واحدة لكتاب « القراءات » ، كانت أوضح من إشارته إليه فى كتاب المشكل ، ونصا قاطعا فى أنه ألفه قبلهما .

وقد أخطأ ابن قتيبة فى تفسير بعض الغريب الذى ذكره ؛ وقد نبهت عليه ، وأبنت وجه الحق مؤيداً بأقوال الثقات من أعلام العلماء .

وقد اعتمدت فى نشر هذا الكتاب ، على صورة شمسية كانت فى حيازة أستاذى

الكريم ، الشيخ أحمد محمد شاكر ؛ تغمده الله برضوانه[1] ، وأذاقه من رحمته كفاء ماجاهد فى سبيل الإسلام والمسلمين ، وما قدم من معونة صادقة لتلاميذه المخلصين .

وكان عملى فى هذا الكتاب كعملى فى سابقه ، وهو ما أجملت الإفصاح عنه هناك بقولى : ولقد حرصت فى شرحى لهذا الكتاب على تخريج أبياته وربط موضوعاته بأماكنها من كتب اللغة والأدب والتفسير ، ونقلت من الآراء مادعت إليه ضرورة البحث ، وأومأت إلى مالم أنقل . وكان قصدى فى ذلك إما تعضيد رأى ، أو توهين قول، أو تفصيل مجمل ، أو توضيح مبهم، أو الإشارة إلى مصدر فكرة ، أو اتفاق خاطر . ليكون الدارس للكتاب على بينة مما ذكره ابن قتيبة ، محيطا بفقه المسائل التى عرض لها ، جامعاً لأطراف الآراء ووجوه المذاهب فيها . فإن كنت أصبت فالخير أردت وإن تكن الأخرى ففى نقدات القراء ما يقيم كل عوج ، ويصلح كل منآد . وفوق كل ذى علم عليم .

القاهرة فى { ربيع الأول ١٣٧٨ هـ
سبتمبر ١٩٥٨ م }

السيد أحمد صقر

---

(1) [...]حمه الله فى صباح السبت ١٤/٦/١٩٥٨